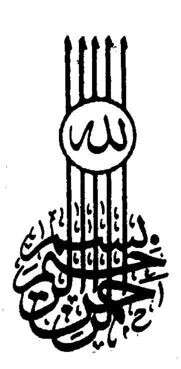
فقه الحسد

تأليف
الشيخ أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة الإيمان
المنصورة أمام جامعة الأزهر
ت/ ٢٢٥٧٨٨٢



فقــه الحســد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وبعد:

فبصدد معالجة آفات الأمم قمت بكتابة هذه الرسالة المتواضعة - راجيًا نفع الله عز وجل لي وللعباد بها -، وفي هذا الصدد صدرت لنا قَبلُ رسالةٌ اسمها: «ذم البخل»، ثم هذه التي بين أيدينا هي الثانية، ألا وهي: رسالة تتعلق بداء الحسد وأسبابه وطرق علاجه، وإن كنت قد جنحت فيها إلى أسلوب أكثر ملاءمة لعوام الناس، نظرًا لتفشي هذا الداء العضال في جميع أوساط الناس، كبيرهم وصغيرهم، حاكمهم ومحكومهم، ملكهم ومملوكهم، رجالهم ونسائهم، أميرهم ومأمورهم، غنيهم وفقيرهم، إلا من رحم الله.

فتناولتُ في هذه الرسالة تعريفَ الحسد ومراتبَه، وورودَه في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وأسبابَه وطرقَ علاجه، وبيانَ بعض المباح منه وملحقات يسيرة لذلك، ولم نرد استقصاء كل ما ورد في هذا الباب، فمحل ذلك كتاب آخر، وإنما كانت همتنا رسالة للعوام ينتفعون بها بإذن الله، لم نرد فيها الإطالة والإرهاق، ولم نرد فيها أيضًا كثرة التخريجات، إنما اقتصرنا فيها على الصحيح الثابت - (وهذا إذا ما

أوردنا حديثًا عن رسول اللَّه ﷺ فيكون الحديث صحيحًا).

وإلى الرسالة - نفعنا اللَّه وإياك بها - أخانا القارئ الكريم، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

مصر - الدقهلية - منية سمنود

تعريف الحسد

* قال صاحب «اللسان»: الحَسَدُ معروف، حَسَدَه يَحْسِدُهُ حَسَدًا وحَسَّدَهُ: إذا تمنى أن تتحول إليه نِعْمَتُهُ وفضيلتُهُ أو يُسلبهما هو، قال:

وتَرى اللبيبَ مُحَسَّدًا لَمْ يَجْتَرِمْ   شتْمَ الرِّجال وعِرْضُهُ مشتُومُ

قال الجوهري: الحَسَدُ: أن تتمنى زوالَ نعمةِ المحسودِ إليك، يُقال: حَسَدَهُ يَحْسُدُهُ حُسُودًا.

قال الأخفش: وبعضهم يقول: «يَحْسِدُهُ» بالكسر والمصدر حَسَدًا بالتحريك وحَسادةً وتحاسد القوم، ورَجُلٌ حاسِدٌ من قَوْمٍ حُسد وحُسَّاد وحَسَدَةٍ، مثل حَاملٍ وحَمَلَة، وحَسُودٌ من قومٍ حُسُدٍ، والأنثى بغير هاء، وهم يتحاسدون.

* قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه («فتح الباري» ١/ ١٦٦):

الحسد: تمني زوال النعمة عن المنعم عليه، وخصَّه بعضهم بأن يتمنى ذلك لنفسه، والحق أنه أعم.

* قال النووي رحمه اللَّه («شرح مسلم» ٢/ ٤٦٤):

قال العلماء: الحسد قسمان: حقيقي ومجاري:

فالحقيقي: تمني زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة.

وأما المجازي: فهو الغبطة، وهو: أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإذا كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كان طاعة فهي مستحبة.

* وقال القرطبي رحمه الله (التفسير» ٣/ ٧١):

الحسد نوعان: محمود ومذموم:

فالمذموم: أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم سواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا، وهذا النوع ذمه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤] وإنما كان مذمومًا لأن فيه تسفيه الحق سبحانه، وأنه أنعم على من لا يستحق.

وانظر مزيدًا من قول القرطبي رحمه الله في شرح حديث «لا حسد إلا في اثنتين..» من هذا الكتاب».

* وقال الرازي في «التفسير الكبير» (٣/ ٢٣٨):

إذا أنعم الله على أخيك بنعمة فإن أردت زوالها فهذا هو الحسد، وإن اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة، أما الأول فحرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر يستعين بها على الشر والفساد

فلا يضرك محبتك لزوالها فإنك ما تحب زوالها من حيث إنها نعمة بل من حيث إنها يُتوسل بها إلىٰ الفساد والشر والأذىٰ .

* * *

مراتب الحسد

ذكر أهل العلم للحسد مراتب، وهي:

المرتبة الأولى: أن يحب الشخص زوال النعمة عن غيره وإن كانت تلك النعمة لن تتحول إليه، فقصد الحاسد الأكبر وهمه الأعظم أن تزول النعمة عن المحسود وتتحول عنه، وهذا أكبر أنواع الحسد وأعلى مراتبه وأشده ذمًا، وخاصةً إذا صحب هذا الحبَّ والتمنيَ عملٌ من أجْله، قال اللَّه تعالى: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ [النساء: ٣٢]

المرتبة الثانية: أن يتمنى الشخص زوال النعمة عن غيره وتحولها إليه، كان يكون لشخصٍ امرأةٌ جميلة فيتمنى الحاسد أن يموت الشخص أو يطلقها حتى يتزوجها هو، أو يكون لرجلٍ مركز قوي أو سلطان نافذ ويتمنى الحاسد أن يزول هذا المركز وذلك السلطان عن الرجل ويتحول إليه، وهذا وإن كان محرمًا إلا أنه أخف من النوع الأول.

المرتبة الثالثة: تمني عدم استصحاب النعمة فيتمنى الحاسد أن يبقى المحسود على حاله من الفقر والجهل والضعف وشتات القلب، فهذا حسد على شيء مُقدَّر، فاعله ممقوتٌ عند اللَّه مُستحقَرٌ عند الناس.

المرتبة الرابعة: أن لا يتمنى الشخص زوال النعمة عن غيره، ولكن

يتمنى لنفسه مثلها، فإن حصل له مثلها سكن واستراح، فإن لم يحصل له مثلها تمنى زوال النعمة عن المحسود حتى يتساويا ولا يفضله صاحبه، والجزء الأول من هذه الرابعة غير مذموم، والثاني - وهو تمني زوال النعمة عن المحسود - مذموم.

المرتبة الخامسة: أن يتمنى الشخص لنفسه مثل ما للآخر من النعم، فإن لم تحدث له تلك النعم لم يتمنَّ زوالها عن الآخر، ويدخل في هذه المرتبة ما يسميه أهل العلم الغبطة، ولا بأس بها فهي قريبة من المنافسة، وقد قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ...» الحديث، فهذا حسدُ غبطةٍ، الحاملُ لصاحبه عليه كِبَر نفسه وحب خصال الخير والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم، وأن يكون من سبَّاقهم وعلْيتهم ومُصَلِّيهم لا من فساكلهم، فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة، مع محبته لمن يغبطه وتمني دوام نعمة اللَّه عليه.

* قال ابن القيم رحمه اللَّه:

وتأمل تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]: لأن الرجل قد يكون عنده حسد ولكن يخفيه ولا يرتب عليه أذى بوجهٍ ما، لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك، ولا يعامل أخاه إلا بما يحب اللَّه، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصمه اللَّه. وقيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك لإخوة يوسف!

لكن الفرق بين القوة التي في قلبه من ذلك وهو لا يطيعها ولا يأتمر بها بل يعصيها طاعةً للَّه وخوفًا وحياء منه وإجلالاً له أن يكره نعمه على عباده، فيرى ذلك مخالفة للَّه وبغضًا لما يحب اللَّه، ومحبة لما يبغضه، فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك، ويلزمها بالدعاء للمحسود وتمني زيادة الخير له، بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسده ورتب على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح، فهذا الحسد المذموم.

هذا كله حسد تمني الزوال.

وللحسد ثلاث مراتب:

إحداها: هذه.

والثانية: تمني استصحاب عدم النعمة، فهو يكره أن يحدث اللَّه لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله من جهله، أو فقره، أو ضعفه، أو شتات قلبه عن اللَّه، أو قلة دينه، فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب، فهذا حسد على شيء مُقدَّر، والأول حسد على شيء محقق، وكلاهما حاسدٌ عدوُّ نعمة اللَّه وعدوُّ عباده، وممقوتٌ عند اللَّه تعالى وعند الناس، ولا يسود أبدًا ولا يواسَى، فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم، فأما عدو نعمة اللَّه عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبدًا إلا قهرًا، يعدونه من البلاء والمصائب التي

ابتلاهم اللّه بها، فهم يبغضونه وهو يبغضهم.

والحسد الثالث: حسد الغبطة وهو: تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه، بل هذا قريب من المنافسة، وقد قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْن: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً وَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَته في الحَقِّ، ورَجُلٌ آتَاهُ اللَّه الحكمَةَ فَهُو يَقْضِي بهَا ويُعَلِّمُهَا النَّاسَ».

فَهَذَا حَسَدُ غِبطةٍ، الحامل لصاحبه عليه كِبَرُ نَفْسِهِ وحب خصال الخير، والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم، وأن يكون من سباقهم وعِليتهم ومُصَلِّيهم لا من فساكلهم، فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة، مع محبته لمن يغبطه وتمني دوام نعمة اللّه عليه، فهذا لا يدخل في الآية بوجهٍ ما.

* * *

النهي عن التحاسد

وقد نهى رسول اللَّه ﷺ أمته عن التحاسد، ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إيَّاكُمْ وَالظَنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيث، ولاَ تَحَسَّسُوا[1] وَلاَ تَجَسَّسُوا، ولاَ تَنَافَسُوا[1] وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّه إخْوَانًا»**.

قول رسول اللَّه ﷺ: «لاَ حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ».

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (حديث ٥٠٢٦): حدثنا علي بن إبراهيم، حدثنا روح، حدثنا شعبة، عن سليمان، قال: سمعت ذكوان، عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«لاَ حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ عَلَّمَهُ اللَّه القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْل وَآنَاءَ النَّهَار،**

---

(١) قال النووي رحمه اللَّه: التحسس بالحاء: الاستماع لحديث القوم، وبالجيم: البحث عن العورات. وقيل: بالجيم: التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، والجاسوس: صاحب سر الشر، والناموس: صاحب سر الخير، وقيل: بالجيم: أن تطلبه لغيرك، وبالحاء: أن تطلبه لنفسك.
قال النووي رحمه اللَّه: وأما المنافسة والتنافس: فمعناهما الرغبة في الشيء وفي الانفراد به، ونافسته منافسة إذا رغبت فيما رغب فيه، وقيل: معنى الحديث: التباري في الرغبة في الدنيا وأسبابها وحظوظها.

فَسَمعَه جَارٌ لَهُ فَقَالَ: لَيْتَني أُوتيتُ مِثْلَما أُوتيَ فُلانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، ورَجُل آتَاهُ الله مَالاً فَهُوَ يُهْلِكُهُ في الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَني أُوتيتُ مِثْلَ مَا أُوتِي فُلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَل».

(صحيح)

وعزاه المزي للنسائي.

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (حديث ٥٠٢٥):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال حدثني سالم ابن عبد اللَّه: أن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَين: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّه الكتَابَ وَقَامَ به آنَاءَ اللَّيْلِ، ورَجُلٌ أعْطَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يَتَصَدَّقُ به آنَاءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهارِ».

(صحيح)

وأخرجه مسلم حديث (٨١٥)، وابن ماجه (حديث ٤٢٠٩).

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (حديث ٧٣):

حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثني إسماعيل بن أبي خالد - على غير ما حدثناه الزهري -، قال: سمعت قيس بن أبي حازم، قال: سمعت عبد اللَّه بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «لاَ

حَسَدَ[١] إلاَّ في اثْنَتَين:[٢] رَجُلٌ آتَاهُ اللَّه مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى[٣] هَلَكَته[٤]

(١) انظر تفسير الحسد والغبطة فيما تقدم ـ تعريف الحسد ـ.

(٢) أي: لا حسد محمود إلا في خصلتين. قاله الحافظ ابن حجر.

وقال النووي رحمه اللَّه: (٢/ ٤٦٤):

والمراد بالحديث: لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما.

(٣) قال الحافظ رحمه اللَّه («الفتح» ١/ ١٦٧): وعبر بالتسليط لدلالته على قهر النفس المجبولة على الشح.

(٤) أي: إنفاقه في الطاعات، قاله النووي رحمه اللَّه.

قلت: وفي هذا الحديث ما يدل على جواز التصدق بالمال كله وإنفاقه في وجوه الطاعات، وقد ورد أيضًا ـ مما يؤيد ذلك ـ مجيء أبي بكر بماله كله إلى رسول اللَّه ﷺ، وقول النبي ﷺ: «ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟» قال: أبقيت لهم اللَّه ورسوله. وهو حديث صحيح.

وأيضًا: قال تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللَّه فبشرهم بعذاب أليم﴾، فهذا وغيره يشعر بجواز التصدق بالمال كله، لكن كيف يلتئم هذا مع قول رسول اللَّه ﷺ لسعد لمَّا سأله: يا رسول اللَّه أُوصي بمالي كله؟ قال: «لا» قلت: فالشطر؟ قال: «لا». قلت: الثلث؟ قال: «فالثلث، والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم».

فوجه الجمع بين هذا وذاك ـ واللَّه أعلم ـ: أن الإنفاق إنما يختلف باختلاف أحوال الناس، فإذا كان المسلمون حيث يحتاج إلى إنفاق كل المال أنفق كله، وإن كان الورثة سيتكففون الناس فحينئذ يتنزل حديث سعد رضي اللَّه عنه.

وإنما أن يقال: إن إبقاء الثلثين للورثة وإنفاق الثلث كل هذا تسليط على الإنفاق في الحق، فللورثة حق أيضًا، واللَّه تعالى أعلم.

في الحَقِّ، ورَجُلٌ آتَاهُ اللَّه الحِكْمَةَ[١] فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ويُعَلِّمُهَا».

(صحيح)

وأخرجه مسلم حديث (٨١٦)، وعزاه المزي للنسائي، وأخرجه أيضًا ابن ماجه (حديث رقم ٤٢٠٨).

* * *

(١) قيل في الحكمة جملة أقوال، منها:

١- القرآن وذلك لما ورد في روايات الأحاديث الأخرى. . . ورجل آتاه اللَّه الكتاب.

٢- السنة.

٣- القرآن والسنة معًا والفقه في الدين ومعرفة الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه.

٤- السداد في القول والفعل.

٥- مواعظ القرآن، لقوله تعالى: ﴿. . . وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾.

٦- الفهم والعلم، لقول اللَّه تعالى: ﴿وآتيناه الحكم صبيًا﴾، لقول النبي ﷺ لابن عباس «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، وفي رواية: «اللهم علمه الحكمة».

٧- النبوة، لقول الله تعالى: ﴿فقد آتينا إبراهيم الكتاب والحكمة﴾.

٨- وقيل: كل ما يمنع من القبيح، ومنه قول الشاعر:

أبَني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكمُ أن أغضبا.

٩- وقيل: الحكمة كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح.

* قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه (فتح الباري ١/ ١٦٧): وأما الحسد =

. . . .

= المذكور في الحديث فهو الغبطة، وأطلق الحسد عليها مجازًا، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود.
ومنه: ﴿فليتنافس المتنافسون﴾ وإن كان في المعصية فهو مذموم. ومنه: «ولاَ تنافسوا».
وإن كان في الجائزات فهو مباح، فكأنه قال في الحديث: لا غبطة أعظم - أو: أفضل - من الغبطة في هذين الأمرين.
ووجه الحصر: أن الطاعات إما بدنية أو مالية أو كائنة عنهما، وقد أشار إلى البدنية بإتيان الحكمة والقضاء بها وتعليمها، ولفظ حديث ابن عمر: «رجل آتاه اللَّه القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار» والمراد بالقيام به: العمل به مطلقًا أعم من تلاوته داخل الصلاة أو خارجها، ومن تعليمه والحكم والفتوى بمقتضاه، فلا تخالف بين لفظي الحديثين، ولأحمد من حديث يزيد بن الأخنس السلمي: «رجل آتاه القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ويتبع ما فيه».
ويجوز حمل الحسد في الحديث على حقيقته، على أن الاستثناء منقطع، والتقدير نفي الحسد مطلقًا، لكن هاتان الخصلتان محمودتان ولا حسد فيهما فلا حسد أصلاً.
* وقال النووي رحمه اللَّه:
المراد بالحديث: لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما.
* وفي «اللسان» (ص٨٦٨): وسئل أحمد بن يحيى عن معنى هذا الحديث فقال: معناه: لا حسد لا يضر إلا في اثنتين.
* قال القرطبي رحمه اللَّه (٤/ ٧٠):
وهذا الحسد (يعني: الوارد في حديث: «لا حسد إلا في اثنتين....») معناه: الغبطة وكذلك ترجم عليه البخاري باب: «الاغتباط في العلم والحكمة»، وحقيقتها: أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير =

ورود الحسد صريحًا في كتاب اللَّه عز وجل

ورد ذكر الحسد صريحًا في كتاب اللَّه عز وجل في أربعة مواطن:

الأول: قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

الثاني: قول اللَّه تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

الثالث: قوله عز وجل: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥].

الرابع: قوله تعالى: ﴿.. وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

* * *

= والنعمة ولا يزول عنه خيره، وقد يجوز أن يسمى هذا منافسة، ومنه: قوله تعالى: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾.

ورود الحسد تلميحًا في كتاب اللَّه سبحانه

وكما أن الحسد ورد صريحًا في كتاب اللَّه عز وجل، فقد وردت الإشارة إليه والتلميح عليه أيضًا في جملة آيات من الكتاب العزيز، نذكر منها:

* قول اللَّه عز وجل: ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٨-٩].

* وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣٠، ٣١].

* وقوله سبحانه ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

* قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ [آل عمران: ٦٩].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩].

* وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ. . . ﴾ [الشورى: ١٤].

* وقوله سبحانه: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا. . ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

* وقوله سبحانه: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

* وقال عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[المائدة: ٢٧ـ٣٠].

* وقوله جل ذكره: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١].

* وقال الله سبحانه: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾[١] [المؤمنون: ٤٧].

* * *

(١) أي: قوم فرعون، يقولون ذلك لموسى وهارون.

ورود الحسد على عهد رسول اللَّه ﷺ

وقد ورد الحسد أيضًا على عهد رسول اللَّه ﷺ، ليس من الكفار للمؤمنين[١] فحسب، بل وبين بعض الصحابة أيضًا، ففي «مسند الإمام أحمد» و«سنن النسائي» و«موطأ مالك» و«سنن ابن ماجه» وغيرها بإسناد صحيح إلى أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: رأى عامرُ ابنُ ربيعة سهلَ بن حنيف يغتسل[٢] فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة. فلُبِطَ سهل، فأُتي رسول اللَّه ﷺ فقيل: يا رسول اللَّه، هل لك في سهل بن حنيف، واللَّه ما يرفع رأسه[٣]؟ فقال: «**هَلْ تَتَّهِمُونَ لَهُ**

(١) أما حسد الكفار وأهل الكتاب لرسول الله ﷺ فلا ينتهي
ومن حسدهم له: ما يبينه قوله تعالى: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف: ٣١].
وقوله تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين له الحق...﴾ [البقرة: ١٠٩].

(٢) هذا، وإن كان ظاهره الإرسال، لأن أبا أمامة تابعيٌّ لم يشاهد الواقعة، إلا أنه في بعض الطرق عند النسائي وأحمد صرح بأنه أخذ ذلك عن أبيه، فثبت الاتصال وصح الحديث، والحمد لله.

(٣) في بعض الروايات: «واللَّه ما يرفع رأسه وما يفيق»، وفي رواية: «أدرك سهلاً صريعًا» وفي رواية: أن عامر بن ربيعة قال: «ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء. قال: فوعك سهل مكانه واشتد وعكه فأتي رسول اللَّه ﷺ فأخبر أن سهلاً وعك وأنه غير رائح معك يا رسول اللَّه...».

أَحَدًا؟» قالوا: نتهم عامر بن ربيعة، قال: فدعا رسول اللَّه ﷺ عامرًا، فتغيظَ عليه وقال: «عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُم أَخَاهُ، أَلاَ بَرَكْتَ[١]؟! اغْتَسِلْ لَـهُ» فَغَسَلَ عامرٌ وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلةَ إزاره في قدح، ثم صُبَّ عليه، فراح سهلٌ مع الناس ليس به بأس.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها: أن رسول اللَّه ﷺ قال لجارية في بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ رأىٰ بوجهها سفعةً[٢] فقال: «بِهَا نَظْرَةٌ، فَاسْتَرْقُوا لَهَا». يعني: بوجهها صُفرة.

وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: كان رسول اللَّه ﷺ يأمرني أن أسترقي من العين.

وفي «صحيح مسلم» من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: رخَّص النبي ﷺ لآل حزم في رُقية الحية، وقال لأسماء بنت عميس: «ما لي أرى أجسام بني أخي[٣] ضَارِعة[٤] تصيبهم الحاجةُ؟» قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم. قال: «ارْقِيهِمْ» قالت: فعرضت عليه فقال: «ارْقِيهِمْ».

---

[١] وفي رواية: «إذا رأىٰ أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدْعُ له بالبركة».
[٢] «السفعة»: التغير والسواد، أو: لون يخالف لون الوجه.
وقد انتقد الدارقطني رحمه اللَّه هذا الحديث.
[٣] يعني: أبناء جعفر.
[٤] «ضارعة» أي: نحيفة.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه: أن رسول اللّه ﷺ قال: «**العَيْنُ حَقٌّ**».

* * *

وهل يَحسد المؤمن؟

نعم قد يحسد المؤمن أخاه، ومن ثم قال نبي اللَّه الكريم يعقوب لولده يوسف عليهما السلام: ﴿يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

وقال إخوة يوسف: ﴿... لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنۢ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾

[يوسف: ٨-٩].

وتقدم حديث عامر بن ربيعة وكيف اتجه بعينه إلى سهل بن حنيف رضي اللَّه عنه قائلاً: «ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة»! ـ وفي رواية: «ولا جلد عذراء...»، وما نزل بسهل من وراء ذلك، وكلاهما صحابي رضي اللَّه عنهما.

* * *

من أسباب الحسد[1]

وقد ذكر العلماء للحسد جملةَ أسباب، منها:

١ ـ العداوة والبغضاء:

وهذه قد تكون كامنة في الصدر بسببٍ وبدون سببٍ دنيويٍّ ظاهرٍ، فقد تنشأ العداوة والبغضاء في قلب شخص لآخر من جراء ظلمه له ومكره به وخديعته إياه وغدره معه، فتقذف العداوة والبغضاء في قلبه لهذا الذي ظلمه، ويتمنىٰ له من قلبه أن يحل به البلاء وتنزل عليه الكربات وتزول عنه النعم، لما قدَّمه إليه من إساءة وبغي وعدوان.

وتنشأ هذه العداوة أيضًا بسبب اختلاف الدين، فالكفار ـ كما تقدم، وكذلك المنافقون ـ يودون من قلوبهم ـ لما جُبلت عليه قلوبهم من الشر والبغي والكفر والعدوان ـ أن تزول النعم عن المؤمنين، وأن تنزل بهم البليات، ويتضايقون غاية الضيق ويتبرمون غاية التبرم إذا نزلت بالمسلمين نعمةٌ من ربهم عز وجل، كما قال اللّٰه سبحانه وتعالىٰ:

﴿.. وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا

---

(١) ومردها في الغالب إلىٰ ضعف الإيمان بالله عز وجل.

يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٩، ١٢٠].

ومنه قوله تعالى: **﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾** [آل عمران: ١١٨].

٢ ـ حب الدنيا بما فيها من رياسات وجاهات من غير قصد شرعيٍّ صحيح[١]:

فإذًا كان الرجل من دأبه حب الرياسة ونيل الجاه، وشعر أن غيره ينازعه في هذه الرياسة وهذا الجاه فإنه يحب لهذا المنازع أن يُبتلىٰ، وأن يُفتضح، وأن تَسوء سمعته في الناس حتىٰ لا يصل إلىٰ مرتبته، بل ولا يقاربه فيها، إلا من رحم الله.

فلو سمع محب الرياسة والريادة في أي فن من الفنون أن له نظيرًا في العالم في هذا الباب وهذا الفن، فيتمنىٰ لهذا النظير الموت وزوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة كالشجاعة والعلم والزهد والملك والثروة والجاه، وذلك كله حتىٰ ينفرد هو بالرياسة والريادة والجاه، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) والقصد الشرعي الصحيح مثل: قول يوسف ﷺ: ﴿اجعلني علىٰ خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ فإنما طلبها يوسف عليه السلام ليتسنىٰ له العدل بين الناس في موطن شدة وقحط، والناس فيه أحوج ما يكونون إلىٰ ذلك العدل.

٣ ـ الشح بالخير على العباد:

فهناك أقوام جُبلوا على الشح وكراهية الخير للناس، فإذا سمعوا بمنعمٍ عليه في صحة أو في عقلٍ أو في دين أو في مال أو في ولدٍ أو في زوجة أو في جاه و . . . ؛ جُن جنونهم، وطار فؤادهم، ونحل جسمهم بلا سبب، إلا هذا السبب القاتل الذي جبلوا عليه من الشح بالخير على العباد، فتكاد صدورهم تتميز من الغيظ إذا سمعوا أن رجلاً ربح مالاً أو رزق ولدًا أو تزوج بحسناء أو رزق إيمانًا وحكمة.

ومن هذا الباب قول اللَّه تعالى: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا**﴾ [النساء: ٥٤، ٥٥].

قال الرازي في «التفسير»[١]:

فإنك تجد من لا يشتغل برياسةٍ ولا بكِبْرٍ ولا بطلبِ مالٍ، إذا وُصِفَ عنده حسنُ حالِ عبدٍ من عباد اللَّه شَقَّ ذلك عليه، وإذا وُصِف اضطرابُ أمورِ الناس وإدبارهم وتَنغُّصُ عيشِهم فرح به، فهو أبدًا يحب الإدبار لغيره، ويبخل بنعمة اللَّه على عباده، كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته.

---

(١) لا أعني في تفسير الآية المتقدمة، وإنما في «تفسيره» (٣/ ٢٤١).

ويقال: البخيل من بخل بمال غيره، فهذا يبخل بنعمة اللّٰه علىٰ عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة، وهذا ليس له سبب ظاهرٌ إلا خبث النفس ورذالة جبلته في الطبع، لأن سائر أنواع الحسد يُرجىٰ زواله لإزالة سببه، وهذا خبث في الجبلة لا عن سببٍ عارضٍ فتعسر إزالته.

٤ ـ ضعف الإيمان والخوف من تكبر الناس أو الخصم عليه:

فالحاسد قد لا يكون به ابتداءً حسدٌ، ويبدأ الحسد في التولد إذا شعر الحاسد أن غيره سيكثر ماله وترتفع منزلته، فيتكبر عليه ويتعزز عليه، فيخشىٰ من التكبر المتوقع والتعزز المرتقب، فيريد ألا تنزل بصاحبه نعمة زائدة عليه حتىٰ يبقيا في منزلة واحدة؛ دفعًا لكبره ولتعززه ولتعاليه عليه.

وقد قال الملأ الذين كفروا من قوم نوح: ﴿**مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ** . . .﴾ [المؤمنون: ٢٤].

٥ ـ خوف المزاحمة وفوت المقاصد:

وهو يختص بالمتزاحمين علىٰ مقصود واحد، كالضرائر مثلاً: كل ضرة منهما تريد الانفراد بالزوج، ونيل حبه، والاحتفاظ بسره والقرب من قلبه، فمن ثَمَّ تحسد الأخرىٰ وتتمنىٰ زوال النعم عنها وتريد لها

الزلل والخطأ.

وكذلك الإخوة يتزاحمون - إلا من رحم الله - للوصول إلىٰ قلب الأب - وخاصة إن كان من ذوي التركات والأموال -؛ كي يؤثر بعضهم علىٰ بعض ويفضّل أحداً علىٰ الآخر، ذلك إذا كان غرضهم نيل الدنيا والمال.

٦ - حب تسخير البشر للنفس:

فإذا كان الرجل ثَريًا من الأثرياء أو كبيراً من الكبراء يرىٰ الناس كل يوم وقوفًا ببابه، يسخرهم كيفما شاء، ويوجههم حيثما يريد رضي بذلك وقنع، وإذا رأىٰ بادرة خير حلت بأحدهم وأوتي مالاً أو جاهًا وعلىٰ إثره سيخرج من حيز تسخيره ويشق طريقه في حياته مستغنيًا عنه، كره ذلك له، وتمنىٰ بقاءه أبد الدهر مسخراً له مذللاً معه، لا يقوم له قدر، ولا يرتفع له شأن، ولا يتحصل له مال حتىٰ يبقىٰ مسخراً له خاضعًا لسلطانه مطيعًا لأوامره.

ومن هذا الباب:

ما أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: فِيَّ نزلت: **﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾** [الأنعام: ٥٢]، قال: نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا: تدني هؤلاء؟! وفي رواية: «كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال

المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾» [الأنعام: ٥٢].

* ومن هذا: قول قوم نوح لنوح عليه السلام: ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١].

* ومن هذا: قول المشركين لمتبعي رسول الله ﷺ: ﴿ أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ﴾ [الأنعام: ٥٣].

بل وقولهم في حسدهم رسول الله ﴿... لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١]، كأنهم يقولون: كيف نقدم علينا غلامًا يتيمًا ونخضع له ونسمع ونطيع ونطأطئ له رؤوسنا؟!!

* * *

أسباب اشتداد الحسد

ثم إن الحسد في قلب الحاسد قد يقلّ وقد يزداد، وقد يخبو وقد يشتعل.

ولذلك أسباب منها:

المجاورة والمخالطة:

سواء في المعاشرة المنزلية، أو في الأعمال المهنية، أو في الرواتب الوظيفية، أو الكوادر التنظيمية أو غير ذلك.

فترىٰ التاجر يحسد التاجر، ويزداد حسدُ التاجر للتاجر الذي يتاجر في نفس سلعته، فَرُبَّ رجل يبيع الطيب مثلاً يكسب في اليوم خمسمائة ريال مثلاً وبجانبه تاجر السيارات المرسيدس يكسب في اليوم الواحد مثلاً خمسمائة ألف ريال، فلا يتجه نظره كثيراً إليه ولا ينصب حسده في الغالب عليه، لكنه ينصب علىٰ تاجر للطيب يكسب في اليوم الواحد ألف ريال.

وكذلك الطبيب يحسد الطبيب، ويزداد حسده للطبيب الذي هو في نفس تخصصه، فينظر إلىٰ عدد المرضىٰ المقبلين عليه للعلاج ويعدّهم عليه عداً، وينظر كم شُفي علىٰ يديه، وكم باء بالفشل في علاجه، وهكذا.

وكذلك الزرَّاع مع بعضهم ينظر إلىٰ أرض صاحبه وكم أدخلت، وكذلك سائر الصناع، حتىٰ الإسكاف - الذي يصلح للناس نعالهم - يحسد الإسكاف مثله، ويكون بجواره مثلاً صاحب صيدلية يكسب ألف ضعف ما يكسبه الإسكاف، ويتحصل عليه لكن لا يتجه بصر الإسكاف بالدرجة الأولىٰ إلا لمن هو مثله.

وكذلك الزوجة تحسد أُمَّ زوجها - حماتها - لأنها ترىٰ أنها تأخذ قسطًا من حنان زوجها، لكن إذا تزوج الزوج بثانية سرعان ما يتحول الحسد إلىٰ الضرة الجديدة[١] لأنها تنازع في شيء لا تنازع فيه أم الزوج ألا وهو الجماع وسائر متعلقات الزوجية.

وكذلك الجار يحسد جاره وينظر إلىٰ بنيانه هل ارتفع فوقه أم لا، وعلىٰ قدر النعمة التي أنعم اللَّه بها علىٰ الجار يزداد حسد الآخر له - إلا من رحم ربي.

وكذلك بعض من أوتي علمًا - إذا كان لا يريد بعلمه الدار الآخرة - يحسد من منَّ عليه بعلم.

(١) قالت أم رومان - رضي اللَّه عنها - لعائشة ابنتها أم المؤمنين - رضي اللَّه عنها - كما في حديث الإفك: «فواللَّه لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها»، وفي رواية الترمذي - وسندها صحيح -: «إلا حسدنها»، وفي «سنن الترمذي» من حديث عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت: «ما حسدت أحدًا ما حسدت خديجة...».

ومن هذا: حسد أهل الكتاب لرسول الله ﷺ، فترىٰ العالم يحسد العالم - إلا من رحم الله - وكذلك العابد يحسد العابد - وذلك في أوساط العباد - .

وكذلك سائر أنواع المخالطات، خطاط يحسد خطاطًا، نجار يحسد نجارًا، حداد يحسد حدادًا .

وهكذا كلما اشتدت المجاورة كلما اشتد لهيب الحسد عند كثير ممن لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .

٢ ـ ومن أسباب اشتداد الحسد: شدة البغي وكثرة التطاول على العباد:

فكلما اشتد بغي الباغي وازداد كبره وتطاوله كلما تمنىٰ له المظلوم زوال النعمة وتحولها عنه، وكلما رأىٰ الناس في شخص من الأشخاص زيادة في الكبر والترفع عليهم رغبوا في تحول النعمة عنه ونزول البلايا به دفعًا لغطرسته عليهم .

٣ ـ ومن أسباب اشتداده أيضًا: شدة البخل:

فإذا رأىٰ الناس في الرجل بخلاً وعدم إحسان إليهم رغبوا في زوال النعمة وتحولها عنه وإن لم تحصل لهم، فهب أن جارًا وسع الله عليه وكان بخيلاً علىٰ الناس وكل يوم يدخل علىٰ أولاده بأصناف الفاكهة، وأولاد الجيران ينظرون إليه ولا يهمه إلا بطنه وأولاده؛ فيتأذىٰ جاره

لأذىٰ أولاده المحرومين الناظرين إلىٰ جارهم الثري البخيل عليهم، فمن ثَمَّ يتمنىٰ الجار لجاره زوال النعمة وتحولها عنه، أما إذا دخل الرجل بيته فوجد جاره الثري قد أرسل إليه بهدية له ولأولاده، فمن ثَمَّ سيدعو له بالبركة وبالسعة والزيادة والحفظ، ولٰكن ما يعقل ذلك إلا العالمون.

* * *

الدواء المزيل للحسد عن الحاسد نفسه

أما الدواء المزيل للحسد عن الحاسد نفسه فيتلخص في: العلم والإيمان:

فللحسد أضرار على الحاسد نفسه في الدنيا والآخرة إذا علمها وكان مؤمنًا باللَّه ولقائه، مصدقًا بوعده ووعيده لانْكَفَّ عن حسده.

وها نحن نبين بعض أضرار الحسد على الحاسد نفسه لعله يعرفها فينكف عن حسده ويدعو لإخوانه بالبركة وازدياد النعم.

***

أضرار الحسد على الحاسد في الآخرة

الحاسد معترض على أقدار اللَّه:

* إذا علم الحاسد أنه بحسده لأخيه المسلم إنما يعترض على أقدار اللَّه ويكره حكم اللَّه وينازع ربَّه في قسمته التي قسمها لعباده، فهو سبحانه الذي جعل هذا غنيًا وجعل هذا ذكيًا، وجعل هذا عالمًا، وأعطى هذا المال، ورزق هذا العيال، ووهب هذا الجاه ومكن هذا من السلطان، ورفع منصب هذا، وكتب القبول لذاك و . . . ، فهو سبحانه الذي قدر المقادير وخلق كل شيء بقدر.

كما قال سبحانه: ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ [القمر: ٤٩].

وكما قال نبيه ﷺ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوات والأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**كُلُّ شَيءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى العَجزُ والكَيْسُ**»(٢).

ومن هذا: قول اللَّه عز وجل للمشركين الذين قالوا: ﴿**لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ [الزخرف: ٣١].

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما.

(٢) أخرجه مسلم من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما، ومعنى الكيس: هو النشاط والحذق بالأمور وهو ضد العجز.

قال اللَّه سبحانه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[الزخرف: ٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

فإذا علم الحاسد أنه بحسده معترض علىٰ أقدار اللَّه، دفعه إيمانه - إن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر والقدر خيره وشره - إلىٰ ترك الحسد والاستعاذة باللَّه منه.

الحاسد متشبه بالمشركين:

* إذا علم الحاسد أنه متشبه بالمشركين وبالمنافقين في تمنيهم الشر للمسلمين وزوال النعم عنهم.

كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠] وكما قال سبحانه: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وإذا علم المسلم أنه منهي عن التشبه بالمشركين في معتقداتهم وسمتهم ودينهم لَتَرَكَ حسد إخوانه المؤمنين منعًا لنفسه من أن يتورط مع مَن تشبَّه بهم في أخراه حيث سوء المصير.

الحاسد جندي من جند إبليس:

* وإذا علم الحاسد أنه بحسده للمؤمنين يكون جنديًا من جند إبليس، يسخره إبليس لإمضاء ما يريد في عباد اللَّه الصالحين لانْكَفَّ عن حسده، فمن ذا الذي يريد أن يكون جنديًا لإبليس اللعين، وَعَدواً للَّه رب العالمين معترضًا على قدره وشرعه، ساخطًا عليه مرضيًا لأوليائه الشياطين؟!!!

الحاسد مفارق للمؤمنين:

* إذا علم الحاسد أنه بحسده للمؤمنين يفارقهم في حبهم الخير بعضهم لبعض كما قال تعالى: ﴿رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] وأنه بمفارقتهم في الدنيا يوشك أن يفارقهم في الآخرة، فمن أحب قومًا حشر معهم، إذا علم ذلك لانزجر عن حسده.

الحاسد معذب في الآخرة:

* إذا علم الحاسد ما سيحل به من عذاب اللَّه سبحانه في الآخرة، ومن عقاب عظيم من جراء ما تقدم لانزجر، وانكفَّ عن حسده للناس، واستغفر ربه من كل ما اقترفه على نفسه وجرَّه على المسلمين.

حسنات الحاسد تذهب للمحسود:

* وإذا علمت أيها الحاسد أن المحسود ينتفع بحسدك له في الآخرة،

فهو مظلوم منك فيأخذ من ديوان حسناتك ويُضم إلى ديوان حسناته، ويؤخذ من ديوان سيئاته ويطرح على ديوان سيئاتك، ولا سيما إذا أخرجت الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره، فهي هدايا تهديها إليه وأنت لا تشعر، والموفَّق من وفقه اللّه.

* * *

أما الأضرار على الحاسد في الدنيا

فمنها ـ كما لخصه أهل العلم ـ:

الحاسد دائمًا في الهم والحزن:

* أن الحاسد بسبب الحسد لا يزال في الهم والحزن والنكد والكمد، والناس يُنعم اللّه عليهم بأنواع من النعم دائمًا، فلا يزال الحاسد يُعذَّب بكل نعمةٍ يراها على الناس، ويتألم بكل بلية تنصرف عنهم، فيبقى أبدًا مغمومًا مهمومًا، فاللّه ينعم على العباد وقلبه يتمزّق غيظًا، والله يصرف البلايا عن العباد، وعقله يتشتت كمدًا ونفسه تذهب حسرات على ما فات الناس من البلايا، فهو بهذا قد حصله له ما أراد حصوله لأعدائه المحسودين، فلم يتأثروا بشيء مما أراده لهم بفضل اللّه، وارتدَّ كيدُه علي نفسه، وجاء تدميره في تدبيره.

* ثم إن هذا الغم والهم إذا استولى عليه أمرض بدنه، وأزال الصحة عنه، وأنزله في الوساوس، وأوقعه في شراكها، ونَغَّص عليه لذة الطعام والشراب.

الحاسد قد يتمنى لنفسه البلاء:

* ثم إن الحاسد ـ وهو لا يدري ـ قد يتمنى لنفسه البلاء بحسده للناس، فقد تكون النعمة التي يعيش الناس في كنفها ابتلاء من اللّه سبحانه وتعالى لهم، وقد عافاه اللّه من ذلك الابتلاء فيتمناه لنفسه،

وأيضًا إذا رزق هو هذه النعم وزُفَّت إليه وجوه الإحسان لم ينفكَّ عن حاسدٍ يحسده؛ فلو أذهب اللَّه النعمة عنك لحسده لك فقد زالت عنك نعم في الدين والدنيا:

نِعم الدين زالت عنك لحسدك الناس.

ونِعم الدنيا زالت عنك لحسد الناس لك.

ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

الحاسد تنزل عليه البلايا:

* ثم إن الحاسد تنزل عليه البلايا في الدنيا لهذه الكبيرة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

الحاسد مكروه عند الخلق:

* ثم إن الحاسد يكون مذمومًا عند الخلق، مكروهًا بينهم، لما يعلمون من كراهيته لهم.

مثال للحاسد مع المحسود:

* ومن مضار الحسد كما ذكره الرازي حيث قال:

إنك عساك تحسد رجلاً من أهل العلم، وتحب أن يخطئ في دين اللَّه وتكشف خطأه ليفتضح، وتحب أن يخرس لسانه حتىٰ لا يتكلم، أو يمرض حتىٰ لا يُعلّم ولا يتعلم، وأيُّ إثمٍ يزيد علىٰ ذلك؟! وأي مرتبة

أخس ممن هذه؟! وقد ظهر من هذه الوجوه أيها الحاسد أنك بمثابة من يرمي حجراً إلى عدوٍّ ليصيب به مقتله فلا يصيبه، بل يرجع إلى حدقته اليمنى فيقلعها، فيزداد غضبه فيعود ويرميه ثانيًا أشد من الأول، فيرجع الحجر على عينه الأخرى فيعميه، فيزداد غيظه ويعود ثالثًا فيعود على رأسه فيشجه، وَعدُوُّه سالمٌ في كل الأحوال، والوبال راجعٌ إليه دائمًا، وأعداؤه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه، بل حال الحاسد أقبح من هذا؛ لأن الحجر العائد لم يفوت إلا العين ولو بقيت لفاتت بالموت، وأما حسده فإنه يسوق إلى غضب اللَّه وإلى النار، فلأنْ تذهب عينه في الدنيا خير له من أن يبقى له عين ويدخل بها النار، فانظر كيف انتقم اللَّه من الحاسد إذا أراد زوال النعمة عن المحسود فما أزالها عنه، ثم أزال نعمة الحاسد، تصديقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

فهذه الأدوية العلمية، فمهما تفكر الإنسان فيها بذهنٍ صافٍ وقلبٍ حاضرٍ انطفأ من قلبه نار الحسد.

وأما العمل النافع فهو أن يأتي بالأفعال المضادة لمقتضيات الحسد، فإن بعثه الحسد على القدح فيه كلَّف لسانه المدح له، وإن حمله على التكبر عليه كلَّف نفسه التواضع له، وإن حمله على قطع أسباب الخير عنه كلَّف نفسه السعي في إيصال الخيرات إليه، فمهما عرف المحسود ذلك طاب قلبه وأحب الحاسد، وذلك يفضي آخر الأمر إلى زوال

الحسد من وجهين:

الأول: أن المحسود إذا أحب الحاسد فعل ما يحبه الحاسد، فحينئذ يصير الحاسد محبًا للمحسود، ويزول الحسد حينئذ.

الثاني: أن الحاسد إذ أتى بضد موجبات الحسد على سبيل التكلف يزيل ذلك بالآخرة طبعًا له، فيزول الحسد عنه.

* * *

من وسائل دفع الحسد عن المحسود

أولاً: التوكل على اللَّه وقول حسبنا اللَّه ونعم الوكيل

فقد قال اللَّه سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

قال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم»:

والتوكل من أقوىٰ الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذىٰ الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوىٰ الأسباب في ذلك؛ فإن اللَّه حسبه أي كافيه، ومن كان اللَّه كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذىٰ لابد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدًا.

وفرق بين الأذىٰ الذي هو في الظاهر إيذاء له وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يتشفىٰ به منه.

قال بعض السلف: جعل اللَّه لكل عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد علىٰ اللَّه حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن؛ لجعل له ربه مخرجًا من ذلك وكفاه ونصره.

وفي «صحيح البخاري» من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ فحسبنا اللَّه ونعم الوكيل تكفي من كل شيء سواء من أذىً ظاهر أو من عدوٍّ خفيٍّ أو من شر حاسدٍ أو إضلال شيطان أو غير ذلك.

ثانيًا: تقوى اللَّه سبحانه وتعالى:

* قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠] فالصبر وتقوى اللَّه سبحانه وتعالى يدفعان كيد الكائدين ومكر الماكرين، وقد قال رسول اللَّه ﷺ لعبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تِجَاهَكَ...».

وكما قال ابن القيم رحمه اللَّه:

فمن حفظ اللَّه حفظه اللَّه ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان اللَّه حافظه وأمامه فمن يخاف؟! ومن يحذر.؟!!

* فإذا نزلت بالمؤمن مصيبةٌ وحل به بلاءٌ من اللَّه سبحانه وتعالى، وصبر واتقى ابتغاء وجه اللَّه زالت شماتة الحاسد، وازداد الحاسد حسرات، وتمزَّقت نفسه وذهبت سدىً لما يراه من تجلد المؤمن وصبره.

ثالثًا: التعوذ بالله من شر هذا الحاسد وكل حاسد:

وذلك بقراءة المعوِّذات ففي «سنن الترمذي» و«النسائي» من حديث معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه قال: خرجنا في ليلةٍ وظُلْمةٍ شديدةٍ نطلب رسولَ الله ﷺ يُصلي لنا، قال: فأدركته، فقال: «قُلْ». فلم أقل شيئًا، ثم قال: «قُلْ» فلم أقل شيئًا قال: «قُلْ» فقلت: ما أقول؟ قال: « ﴿قل هو الله أحد﴾ والمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وتُصْبِحَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ تَكْفِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ».

فما أعظم التحصنَ بكتاب الله وسنة مصطفاه، واللجوء إلى الله رب العالمين لدفع شر هذا الحاسد اللعين!

قال ابن القيم رحمه الله ـ في تفسير سورة الفلق:

فهذه السورة من أكبر أدوية الحسد، فإنها تتضمن التوكل على الله والالتجاء إليه والاستعاذة به من شر حاسد النعمة، فهو مستعيذٌ بوليِّ النعم ومُوليها، كأنه يقول: يا مَن أولاني نعمته وأسداها إليَّ، أنا عائذ بك من شر من يريد أن يستلبها مني ويزيلها عني، وهو حسْب من توكل عليه وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف ويجير المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه تولاه وحفظه وحرسه وصانه، ومن خافه واتقاه أمنه مما يخاف ويحذر، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع ﴿ومن

يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، فلا تستبطئ نصره ورزقه وعافيته، فإن اللَّه بالغ أمره، وقد جعل اللَّه لكل شيء قدرًا لا يتقدم عنه ولا يتأخر، ومن لم يخفه أخافه من كل شيء، وما خاف أحد غير اللَّه إلا لنقص خوفه من اللَّه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨، ١٠٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. أي: ويخوفكم بأوليائه ويعظمهم في صدوركم، فلا تخافوهم، وأفردوني بالمخافة أكفكم إيَّاهم.

رابعًا: عدم إخبار الحاسد بنعمة اللَّه عليك:

ولذلك قال يعقوب ليوسف عليهما السلام: ﴿يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

ومن هذا الباب: وصية رسول اللَّه ﷺ لمن رأى رؤيا يحبها أن لا يقصها إلا على من يحب.

ففي «الصحيحين» من حديث أبي قتادة رضي اللَّه عنه قال: سمعت

النبي ﷺ يقـول : «**الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ مِنَ اللَّه، فَـإذَا رَأَى أَحَدُكُم مَا يُحِبُّ فَلاَ يُحَدِّث بِهِ إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ...**» .

قلت: •

وذلك لأنه إذا حدَّث بها من لا يحب قد يفسرها له بما لا يحب، إما بغضًا وإما حسدًا، فقد تقع على تلك الصفة، فتُركَ تحديث الحاسدين سدًا لباب الشر الوارد منهم .

خامسًا: ومن أسباب دفع الحسد عن المحسود: فراغ قلب المحسود من الاشتغال بالحاسد والفكر فيه ـ قاله ابن القيم:

وقال رحمه اللَّه:

وأن يمحوه من باله كلما خطر له فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره، فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه، فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه بل انعزل عنه لم يقدرعليه، فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر، وهكذا الأرواح سواءٌ، فإذا علق روحه وشبثها به، وروح الحاسد الباغي متعلقة به يقظةً ومنامًا لا يفتر عنه، وهو يَتَمنَّى أن يتماسك الروحان ويتشبَّثا، فإذا تعلقت كل روح منهما بالأخرى عدم القرار ودام الشر حتى يهلك أحدهما، فإذا جبذ روحه منه وصانها عن الفكر فيه والتعلق به، وأن لا يخطره بباله،

فإذا خطر بباله بادر إلي محو ذلك الخاطر والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به بقى الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضًا فإن الحسد كالنار، فإذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضًا.

وهذا باب عظيم النفع، لا يُلقاه إلا أصحاب النفوس الشريفة والهمم العلية، وبين الكيس الفطن وبينه وحتى يذوق حلاوته وطيبه ونعيمه، كأنه يرى من أعظم عذاب القلب والروح اشتغاله بعدوه وتعلق روحه به، ولا يرى شيئًا آلم لروحه من ذلك، ولا يصدق بهذا إلا النفوس المطمئنة الوادعة اللينة التي رضيت بوكالة اللَّه لها وعلمت أن نصره لها خير من انتصارها هي لنفسها، فوثقت باللَّه وسكنت إليه واطمأنت به، وعلمت أن ضمانه حق ووعده صدق، وأنه لا أوفى بعهده من اللَّه، ولا أصدق منه قيلاً، فعلمت أن نصره لها أقوى وأثبت وأدوم وأعظم فائدة من نصرها هي لنفسها أو نصر مخلوق مثلها لها، ولا يقوى على هذا إلا بالسبب الآتي ألا وهو:

سادسًا: الإقبال على اللَّه والإخلاص له:

وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه في محل خواطر نفسه، وأمانيها تدب فيها دبيب تلك الخواطر شيئًا فشيئًا حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية، فتبقى خواطره وهواجسه وأمانيه كلها في محاب الرب والتقرب إليه وتملقه وترضيه واستعطافه، وذكره كما يذكر المحب التام المحبة محبوبه المحسن إليه الذي قد امتلأت جوانحه من حبه، فلا

يستطيع قلبه انصرافًا عن ذكره، ولا روحه انصرافًا عن محبته، فإذا صار كذلك فكيف يرضىٰ لنفسه أن يجعل بيت أفكاره وقلبه مغموراً بالفكر في حاسده والباغي عليه والطريق إلىٰ الانتقام منه والتدبير عليه؟! هذا ما لا يتسع له إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة اللَّه وإجلاله وطلب مرضاته، بل إذا مسه طيف من ذلك واجتاز ببابه من خارج ناداه حرس قلبه: إياك وحمىٰ الملك اذهب إلىٰ بيوت الحانات التي كل من جاء حل فيها ونزل بها، ما لك ولبيت السلطان الذي أقام عليه اليَزَك وأدار عليه الحرس وأحاطه بالسور؟!

قال تعالىٰ حكايةً عن عدوِّه إبليس أنه قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

وقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠].

وقال في حق الصديق يوسف ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن وصار داخل اليزك!

لقد آوىٰ إلىٰ حصن لا خوف علىٰ من تحصن به، ولا ضيعة علىٰ من

آوىٰ إليه، ولا مطمع للعدو في الدنو إليه منه، **﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** [الحديد: ٢١].

سابعًا الصبر على الحاسد:

قال ابن القيم رحمه اللَّه ـ في بيان ما يندفع به شر الحاسد عن المحسود ـ:

الصبر علىٰ عدوه وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً، فما نصر علىٰ حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل علىٰ اللَّه، ولا يستطل تأخيره وبغيه، فإنه كلما بغىٰ عليه كان بغيه جندًا وقوة للمبغي عليه المحسود يقاتل به الباغي نفسه وهو لا يشعر، فبغيه سهام يرميها من نفسه إلىٰ نفسه، لو رأىٰ المبغي عليه ذلك لسره بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرىٰ إلا صورة البغي دون آخره ومآله.

وقد قال تعالىٰ: **﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾** [الحج: ٦٠] فإذا كان اللَّه قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفىٰ حقه أولاً، فكيف بمن لم يستوف شيئًا من حقه، بل بُغي عليه وهو صابر؟! وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبةً من البغي وقطيعة الرحم، وقد سبقت سنة اللَّه: «أنه لو بغىٰ جَبَلٌ علىٰ جبل لجعل الباغي منهما دكًا».

ثامنًا: الإحسان إلى الحاسد

قال ابن القيم رحمه الله:

وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذىً وشرًا وبغيًا وحسدًا ازددت إليه إحسانًا وله نصيحة وعليه شفقة، وما أظنك تصدق بأن هذا يكون فضلاً عن أن تتعاطاه، فاسمع الآن قوله عز وجل: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦].

وقال: ﴿**أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [القصص: ٥٤].

وتأمل حال النبي ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه، فجعل يسلت الدم

---

(١) ليس المراد مغفرة الشرك، فإن الله عز وجل قال: ﴿وما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ وإنما المراد- والله أعلم- مغفرة ما فعلوه به من جرح. أو يكون هذا قبل نزول الآية، وانظر تحقيقنا لرسالة: «تفسير المعوذتين».

عنه ويقول: «**اللَّهُمَّ اغفِرْ**[1] **لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**» كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه:

أحدها: عفوه عنهم.

والثاني: استغفاره لهم.

والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون.

والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال: «**اغْفِرْ لِقَوْمِي**» كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي؛ هذا غلامي؛ هذا صاحبي، فَهَبْهُ لي.

واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس ويطيبه إليها وينعمها به:

اعلم: أن لك ذنوبًا بينك وبين اللَّه تخاف عواقبها وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك، ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة، حتى ينعم عليك ويكرمك ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمِّله، فإذا كنت ترجو هذا من ربك وتحب أن يقابل به إساءتك؛ فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه، وتقابل به إساءتهم ليعاملك تلك المعاملة؛ فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل اللَّه معك في ذنوبك وإساءتك جزاءً

وفاقًا، فانتقم بعد ذلك أو اعف، وأحسن أو اترك، فكما تدين تُدان، وكما تفعل مع عباده يفعل معك.

فمن تصور هذا المعنى وشغل به فكْره هان عليه الإحسان إلى من أساء إليه، وهذا مع ما يحصل به بذلك من نصر اللَّه ومعيته[1] الخاصة، كما قال النبي ﷺ للذي شكى إليه قرابته، وأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه فقال: «**لاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ مَا دُمتَ عَلَى ذَلكَ**»[2].

هذا مع ما يتعجَّله من ثناء الناس عليه، ويصيرون كلهم معه على خصمه، فإن كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير وهو مسيء إليه وجه قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيء، وذلك أمر فطري فطر

(١) المعية معيتان: عامة وخاصة: فالمعية العامة: كما في قوله تعالى: ﴿. . . ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن اللَّه بكل شيء عليم﴾.
أما المعية الخاصة كما في قوله تعالى: ﴿إن اللَّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ وكقوله سبحانه: ﴿إن اللَّه مع الصابرين﴾ وقوله: ﴿لا تحزن إن اللَّه معنا﴾.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ ولا يزال معك من اللَّه ظهير عليهم، ما دمت على ذلك».

اللَّه عليه عباده، فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكرًا لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولا يريدون منه إقطاعًا ولا خبزًا.

هذا مع أنه لابد له مع عدوه وحاسده من إحدىٰ حالتين:

إما أن يملكه بإحسان فيستعبده وينقاد له، ويذل له ويبقىٰ الناس إليه.

وإما أن يفتت كبده ويقطع دابره إن أقام علىٰ إساءته إليه.

فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه، ومَن جرَّب هذا عرفه حق المعرفة، واللَّه هو الموفق والمعين، بيده الخير كله، لا إله غيره، وهو المسئول أن يستعملنا في ذلك بمنه وكرمه.

قلت:

ومن هذا الباب: لو أن هناك رجلاً وسع اللَّه عليه وأعطاه أصناف المال والأولاد ذكورًا وإناثًا، وله جار ضُيق عليه وأولاده محاويج.

فإذا رأىٰ هذا الجارُ المحتاج جارَه الموسَّع عليه كل يوم يدخل بصنوف الفاكهة وأنواع الطعام والشراب وأفخر اللباس علىٰ أولاده وزوجته ولا يُعطي هذا الفقير المحتاج شيئًا سيتجه بصره تلقائيًا إلىٰ حسده، وخاصة إذا رأىٰ أولاده ينظرون إلىٰ أولاد ذلك الغني وإلىٰ ما في أيديهم، أما إذا وقىٰ الله هذا الغني شحَّ نفسه وتصدقَ علىٰ جاره وأكرمه فلا شك أن هذا الجار الفقير - في الغالب - سيشكر له صنيعه ويدعو الله له بزيادة ما فيه من خير، فحينئذ يندفع شر الحاسد بإكرامه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال ابن القيم رحمه الله في بيان أسباب دفع الحسد:

الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيراً عجيبًا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد، ولو لم يكن في هذا إلا بتجارب الأمم قديمًا وحديثًا لكفىٰ به، فما تكاد العين والحسد والأذىٰ يتسلط علىٰ محسن متصدق، وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملاً فيه باللطف والمعونة والتأييد، وكانت له العاقبة الحميدة؛ فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته عليه من الله جنةٌ واقية وحصن حصين.

وبالجملة، فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببًا لزوالها، ومن أقوىٰ الأسباب: حسد الحاسد والعائن؛ فإنه لا يفتر ولا ينىٰ ولا يبرد قلبه حتىٰ تزول النعمة عن المحسود، فحينئذ يبرد أنينه وتنطفئ ناره - لا أطفأها الله -، فما حرس العبد نعمة الله عليه بمثل شكرها ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله، وهو كُفران النعمة وهو باب إلىٰ كفران المنعم.

فالمحسن المتصدق يستخدم جنداً وعسكراً يقاتلون عنه وهو نائم علىٰ فراشه، فمن لم يكن له جند ولا عسكر وله عدو فإنه يوشك أن يظفر به عدوه وإن تأخرت مدة الظفر، والله المستعان.

تاسعًا: تجديد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه:

قاله ابن القيم رحمه الله، وقال:

فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال لخير الخلق وهم أصحاب نبيه دونه ﷺ: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، فما سُلِّط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما عمله أضعاف ما يذكره، وفي الدعاء المشهور: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ أَعْلَمُ»(١) .

فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف ما يعلمه، فما سُلِّط عليه مؤذٍ إلا بذنب.

ولقي بعض السلف رجلٌ فأغلظ له ونال منه، فقال له: قفْ حتى أدخل البيت ثم أخرج إليك. فدخل فسجد لله وتضرع إليه وتاب وأناب إلى ربه، ثم خرج إليه فقال له: ما صنعتَ؟ فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلَّطك به عليَّ.

---

(١) الراجح لدينا ضعفه.

وسنذكر ـ إن شاء الله ـ أنه ليس في الوجود شرٌّ إلا الذنوب وموجباتها، فإن عُوفي العبد من الذنوب عوفي من موجباتها فليس للعبد إذا بُغي عليه وأوذي وتسلَّط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح.

وعلامة سعادته: أن يعكس فِكْره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه فيشتغل بها وبإصلاحها وبالتوبة منها فلا يبقى فيه فراغٌ لتدبر ما نزل به، بل يتولى هو التوبة وإصلاح عيوبه، والله يتولى نصرته وحفظه والدفع عنه ولابد، فما أسعده من عبد! وما أبركها من نازلةٍ نزلت به! وما أحسن أثرها عليه! ولكن التوفيق والرشد بيد الله لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فما كل أحدٍ يوفق لمعرفة هذا، ولا إرادة له ولا قدرة عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عاشراً: ومن أسباب دفع الحسد عن المحسود: اغتسال الحاسد ـ أعني: غَسْل بعض أعضائه على ما سَيَرِد ـ وصبّ مائه على المحسود:

ففي «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**العَيْنُ حَقٌّ، ولَو كَانَ شَيءٌ سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَتْهُ العَيْنُ، وإِذَا استُغْسِلْتُم فَاغْتَسِلُوا**».

وفي «سنن أبي داود» بإسنادٍ صحيح عن عائشة قالت: كان يُؤمرُ

العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين .

وأيضًا: قد تقدمت قصة عامر بن ربيعة من سهل بن حنيف، وفيها: أن عامرًا غسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة[1] إزاره في قدح ثم صُبَّ عليه، فراح سهل مع الناس ليس به بأس .

قال النووي في «شرح مسلم»:

وصفة وضوء العائن عند العلماء: أن يؤتى بقدح ماء، ولا يوضع القدح في الأرض، فيأخذ منه غرفة فيتمضمض بها، ثم يمجها في القدح، ثم يأخذ منه ما يغسل وجهه، ثم يأخذ بشماله ماءً يغسل به كفه اليمنى، ثم بيمينه ماءً يغسل به مِرفقه الأيسر، ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة، وكل ذلك في القدح، ثم داخلة إزاره ـ وهو الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن ـ، وقد ظن بعضهم أن داخلة الإزار كناية عن الفَرْج، وجمهور العلماء على ما قدمناه، فإذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه، وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه، وليس في قوة العقل الاطلاع على أسرار جميع المعلومات، فلا يدفع هذا بألا يعقل معناه .

(١) قال عياض: المراد بداخلة الإزار: ما يلي الجسد من الإزار، وقيل: أراد موضع الإزار من الجسد، وقيل: أراد وركه لأنه معقد الإزار.
وقال المازري: المراد بداخلة الإزار: الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن. نقله الحافظ في «الفتح».

الحادي عشر: الرقية

ومن أسباب دفع الحسد: الرقية:

ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن جبريل أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا محمد، اشتكيتَ؟ فقال: «نعم» قال: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ[1]، اللَّهُ يَشْفِيكَ، باسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ.

وفيه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كَانَ إِذَا اشتَكَىٰ رَسُولُ الله ﷺ رَقَاهُ جِبْرِيلُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ يبرِيكَ، ومِنْ كُلِّ دَاءٍ يشْفِيكَ، ومِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ.

وتقدم حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: أن رسول الله ﷺ كان يأمرها أن تسترقي من العين.

وفي «صحيح البخاري» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

(١) في رواية للترمذي: «وعين حاسدةٍ، بسم اللَّه أرقيك، واللَّه يشفيك».
قال النووي في «شرح مسلم»: وقوله: «من شر كل نفس» قيل: يحتمل أن المراد بالنفس نفس الآدمي، وقيل: يحتمل أن المراد بها العين، فإن النفس تطلق على العين، وقال: رجلٌ نفوسٌ إذا كان يصيب الناس بعينه كما قال في الرواية الأخرى: «من شر كل ذي عين» ويكون قوله: «أو عين حاسد» من باب التوكيد بلفظ مختلف، أو شكًا من الراوي في لفظه، واللَّه أعلم.

قال: كان النبي ﷺ يُعوِّذُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ ويقول: «**إنَّ أَبَاكَـمُا كَـانَ يُعَـوِّذُ بهَا إسْـمَاعِـيلَ وإسْحَـاقَ: أَعُوذُ بكَلمَـات اللَّه التَّامَّـة، منْ كُلِّ شَيْطَان وَهَامة**[١]**، وَمنْ كُلِّ عَين لامة**[٢]».

ثاني عشر: تجريد التوحيد

ومن أسباب دفع الحسد: تجريد التوحيد:

وقد ختم به ابن القيم رحمه الله بحثه في (أسباب دفع الحسد عن المحسود) وقال:

وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب، وهو: تجريد التوحيد، والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح، وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها، ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه، فهو الذي يحسن عبده بها وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه، قال تعالى: ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِه**﴾ [يونس:١٠٧]، وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله

---

(١) «الهامة»: واحدة «الهوام» من ذاوت السموم، وقيل: كل ما له سم يقتل، فأما ما لا يقتل سمه فيقال له: السوام، وقيل: المراد كل نسمة تهم بسوء. قاله الحافظ.

(٢) نقل الحافظ عن الخطابي قوله: المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل.

عنهما: «واعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمَعَتْ علَى أنْ يَنْفعُوكَ بشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بشَيءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولَو اجْتَمعُوا علَى أنْ يَضرُّوكَ بشَيءٍ لَمْ يَضرُّوكَ إلاَّ بشَيءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ».

فإذا جرد العبد التوحيد فقد أخرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه، وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكْره فيه، وتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلاً واشتغالاً به عن غيره، فيرىٰ أن إعماله فكْره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جرَّد توحيده لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولىٰ حفظه والدفع عنه، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا، فإن كان مؤمنًا بالله، فالله يدافع عنه ولا بد، وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه، فإن كمل إيمانه كان دفع الله عنه أتم دفع، وإن مزج مزج له، وإن كان مرةً ومرةً فالله له مرةً ومرةً، كما قال بعض السلف: من أقبل علىٰ الله بكليته أقبل الله عليه جملة، ومن أعرض عن الله بكلِّيته أعرض الله عنه جملة[1]، ومن كان مرةً ومرةً فالله له مرةً ومرةً.

فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين.

---

(١) هذا الأخير يحتاج إلىٰ دليل، وإن كان في حديث الثلاثة الذين دخلوا المسجد.... وفيه: قول رسول اللَّه ﷺ «أما الآخر: فأعرض فأعرض اللَّه عنه» ما يشهد لهذا المعنىٰ.

قال بعض السلف: مَن خاف اللهَ خافه كل شيء، ومَن لم يخف اللهَ أخافه من كل شيء.

هذه أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر وليس له أنفع من التوجه إلىٰ الله وإقباله عليه وتوكله عليه وثقته به، وأن لا يخاف معه غيره، بل يكون خوفه منه وحده ولا يرجو سواه، بل يرجوه وحده، فلا يعلق قلبه بغيره ولا يستغيث بسواه، ولا يرجو إلا إياه، ومتىٰ علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وُكل إليه وخذل من جهته، فمن خاف شيئًا غير الله سلط عليه، ومن رجا شيئًا سوىٰ الله خذل من جهته وحُرِم خيره، هذه سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

* * *

الفرق بين الحاسد والساحر

ويتفق الساحر والحاسد في أشياء ويفترقان في أشياء أخرىٰ .

قال ابن القيم رحمه الله:

والشيطان يقارن الساحر والحاسد ويحادثهما ويصاحبهما .

ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان ؛ لأن الحاسد شبيه بإبليس ، وهو في الحقيقة من أتباعه ، لأنه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس وزوال نعم الله عنهم ، كما أن إبليس حسد آدم لشرفه وفضله وأبىٰ أن يسجد له حسداً ، فالحاسد من جند إبليس .

وأما الساحر : فهو يطلب من الشيطان أن يعينه ويستعينه ، وربما يعبده من دون الله حتىٰ يقضي له حاجته ، وربما يسجد له .

وقال ابن القيم في موطن آخر:

وقَلَّما يتأتىٰ السحر بدون نوع عبادة للشيطان وتقربٍ إليه إما بذبح باسمه أو بذبح يقصد به هو ، فيكون ذبحًا لغير الله ، وبغير ذلك من أنواع الشرك والفسوق ، والساحر وإن لم يسم هذا عبادة للشيطان فهو عبادة له وإن سماه بما سماه ، فإن الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه ، لا لاسمه ولفظه ، فمن سجد لمخلوق وقال : ليس هذا بسجودٍ له ، هذا خضوع وتقبيل الأرض بالجبهة كما أقبلها بالنعم ، أو هذا إكرام ، لم يخرج بهذه الألفاظ عن كونه سجودًا لغير الله فليسمه بما

شاء، وكذلك من ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده، وإن لم يُسم ذلك عبادة بل يسميه استخدامًا، وصدق، هو استخدام من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة، فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به.

والمقصود: أن هذا عبادة منه للشيطان وإنما سماه استخدامًا قال تعالى: **﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾** [يس: ٦٠] وقال تعالى: **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾**

[سبأ: ٤٠، ٤١].

فهؤلاء وأشباههم عباد الجن والشياطين، وهم أولياؤهم في الدنيا والآخرة، ولبئس المولى ولبئس العشير: فهذا أحد النوعين.

والنوع الثاني: من يعينه الشيطان، وإن لم يستعن هو به وهو الحاسد، لأنه نائبه وخليفته، لأن كليهما عدو نعم الله ومنغصها على عباده.

* * *

الفرق بين العائن والحاسد

قال ابن القيم رحمه الله:

والعائن والحاسد يشتركان في شيءٍ ويفترقان في شيء:

فيشتركان في: أن كل واحد منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من يريد أذاه.

فالعائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته.

والحاسد يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضًا.

ويفترقان في: أن العائن قد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو زرع أو مال، وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه، وربما أصابت عينه نفسه، فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في المعين.

وقد قال غير واحد من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١] إنه الإصابة بالعين، أرادوا أن يصيبوا بها رسول الله ﷺ فنظر إليه قوم من العائنين وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حجته.

وكان طائفة منهم تمر به الناقة والبقرة السمينة فيعينها ثم يقول لخادمه: خذ المكتل والدرهم وائتنا بشيء من لحمها، فما تبرح حتى تقع فتنحر.

وأورد رحمه الله جملة أقوال ثم قال:

والمقصود: أن العائن حاسد خاص، وهو أضر من الحاسد، ولهذا والله أعلم إنما جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن لأنه أعم، فكل عائن حاسد ولابد، وليس كل حاسد عائنًا، فإذا استعاذ من شر الحاسد دخل فيه العائن، وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

والعين تكون مع الإعجاب ولو بغير حسدٍ، ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح، وأن الذي يعجبه الشيء ينبغي أن يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة، ويكون ذلك رقية منه.

قال ابن القيم رحمه الله في المستعاذ منه في سورة الفلق:

الشر الرابع: شر الحاسد إذا حسد:

وقد دل القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود، فنفس حسده شر متصل بالمحسود من نفسه وعينه وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه، فإن الله تعالى قال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]، فحقق الشر منه عند صدور الحسد، والقرآن ليس فيه لفظة مُهمَلة.

ومعلوم أن الحاسد لا يسمى حاسدًا إلا إذا قام به الحسد، كالضارب والشاتم والقاتل ونحو ذلك، ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لاهٍ عنه، فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعثت نار

الحسد من قلبه إليه، وتوجّهت إليه سهام الحسد من قلبه، فيتأذىٰ المحسود بمجرد ذلك، فإن لم يستعذ بالله ويتحصن به ويكون له أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلىٰ الله والإقبال عليه بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله علىٰ الله، وإلا ناله شر الحاسد ولابد، فقوله تعالىٰ: ﴿**إِذَا حَسَدَ**﴾ [الفلق: ٥]، بيانٌ؛ لأن شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل.

وقد تقدم في حديث أبي سعيد الصحيح رقية جبريل النبي ﷺ وفيها: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيءٍ يُؤذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ»، فهذا فيه الاستعاذةُ من شر عين الحاسد.

ومعلوم أن عينه لا تؤثر بمجردها، إذ لو نظر إليه نظر لاهٍ ساهٍ عنه كما ينظر إلىٰ الأرض والجبل وغيره لم يؤثر فيه شيئًا، وإنما إذا نظر إليه نظر من قد تكيفت نفسه الخبيثة وانسمَّت واحتدت، فصارت نفسه غضبية خبيثة حاسدة أثرت بها تلك النظرة، فأثرت في المحسود تأثيرًا بحسب صفة ضعفه وقوة نفس الحاسد، فربما أعطبه وأهلكه بمنزلة من فوَّق سهمًا نحو رجل عريان فأصاب منه مقتلاً، وربما صرعه وأمرضه، [illegible] عند الخاصة والعامة بهذا أكثر من أن تذكر.

وهذه العين إنما تأثيرها بواسطة النفس الخبيثة، وهي في ذلك بمنزلة الحية التي إنما يؤثر سمها إذا عضَّت واحتدت، فإنها تتكيف بكيفية الغضب والخبث، فتحدث فيها تلك الكيفية السم فتؤثر في اللديغ،

وربما قويت تلك الكيفية، واشتدت في نوع منها حتىٰ تؤثر بمجرد نظرة فتطمس البصر وتُسقط الحَبَلَ، كما ذكره النبي ﷺ في الأبتر وذي الطفتين منها فقال: «**اقْتُلُوهُمَا؛ فَإِنَّهُمَا يَطْمِسَانِ البَصَرَ وَيُسْقِطَانِ الحَبَلَ**».

فإذا كان هذا في الحيات فما الظن في النفوس الشريرة الغضبية الحاسدة إذا تكيفت بكيفيتها الغضبية وانسمت وتوجهت إلىٰ المحسود بكيفيتها؟! فالله كم من قتيل؟! وكم من سليب؟! وكم من معافىٰ عاد مضنىٰ علىٰ فراشه، يقول طبيبه: لا أعلم داءه ما هو؟!

فصَدَقَ، ليس هذا الداء من علم الطبائع، هذا من علم الأرواح وصفاتها، وكيفياتها، ومعرفة تأثيراتها في الأجسام والطبائع وانفعال الأجسام عنها.

وهذا علم لا يعرفه إلا خواص الناس، والمحجوبون منكرون له. ولا يعلم تأثير ذلك وارتباطه بالطبيعة وانفعالها عنه إلا من له نصيب من ذوقه، وهل الأجسام إلا كالخشب الملقى؟ وهل الانفعال والتأثر وحدوث ما يحدث عنها من الأفعال العجيبة والآثار الغريبة إلا من الأرواح، والأجسام آلتها بمنزلة الصانع؟ فالصنعة في الحقيقة له، والآلات وسائط في وصول أثره إلىٰ الصنع، ومن له أدنىٰ مظنة وتأمل لأحوال العالم وقد لطفت روحه وشاهدت أحوال الأرواح وتأثيراتها وتحريكها الأجسام وانفعالها عنها، وكل ذلك بتقدير العزيز العليم

خالق الأسباب والمسببات، رأى عجائب في الكون وآيات دالة على وحدانية الله وعظمة ربوبيته، وأن ثمَّ عالمًا آخر تجري عليه أحكام أُخر تشهد آثارها وأسبابها غيب عن الأبصار.

فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين الذي أتقن ما صنع، وأحسن كل شيء خلقه، ولا نسبة لعالم الأجسام إلى عالم الأرواح، بل هو أعظم وأوسع وعجائبه أبهر وآياته أعجب.

وتأمل هذا الهيكل الإنساني إذا فارقته الروح كيف يصير بمنزلة الخشبة أو القطعة من اللحم؟ فأين ذهبت تلك العلوم والمعارف والعقل؟ وتلك الصنائع الغريبة؟ وتلك الأفعال العجيبة؟ وتلك الأفكار والتدبيرات؟ كيف ذهبت كلها مع الروح وبقي الهيكل سواء هو والتراب؟ وهل يخاطبك من الإنسان أو يراك أو يحبك أو يواليك أو يعاديك ويخفُّ عليك أو يثقل ويؤنسك أو يوحشك إلا ذلك الأمر الذي هو وراء الهيكل المشاهَد بالبصر؟

فَرُبَّ رجلٍ عظيمِ الهيولي كبيرِ الجُثَّة، خفيفٌ على قلبك حلوٌ عندك، وآخر لطيف الخلقة صغير الجثة أثقل على قلبك من جبل، وما ذاك إلا للطافة روح ذاك وخفتها وحلاوتها، وكثافة هذا وغلظ روحه ومرارتها.

وبالجملة؛ فالعُلَق والوُصَل التي بين الأشخاص والمنافرات والبُعد إنما هي للأرواح أصلاً والأشباح تبعًا.

* * *

ذهاب الحسد بين يدي الساعة

ويذهب الحسد بين يدي الساعة بعد نزول المسيح عيسى عليه السلام، ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«وَاللَّه لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلاً، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ القِلاَصُ[1] فَلاَ يُسْعَى عَلَيها، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالحَسَدُ، وَلَيَدْعَوَنَّ إلى المَالِ فَلاَ يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»**.

* * *

(١) «القلاص» هي أشرف أنواع الإبل، وهي كالفتاة من النساء.

ومن نعم الله على أهل الجنة:
إخراج الحسد والغل من قلوبهم

قال الله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ـ واللفظ للبخاري ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ، إِضَاءَةً قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لاَ تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الحُورِ العِينِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ العَظْمِ وَاللَّحْمِ».

* * *

الخاتمة

إلىٰ هذا القَدْر أنهينا هذه الرسالة المتواضعة في بابها بحمد الله وتوفيقه، نسأل الله أن ينفعنا بها وعباده المؤمنين، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا يوم نلقاه.

ونسأله سبحانه أن يجعلها حجة لنا لا علينا، وأن ينزع من صدورنا كل حسدٍ وغلٍّ لعباده المؤمنين، وأن يطهر قلوبنا وينقيها بالماء والثلج والبَرَدِ.

وصلِّ اللهم علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلِّم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

الفهرست


مطابع
المنصـــــورة ت / ٢٢٣٣٨٦٧